القـــلب

للاســـتاذ احمد أمين

رمتنى آنسة فى جريدة الأهرام « بأن لا قلب لى ، وان كان فليس يخفق » لأنى كتبت موضوعا فى مجلة الرسالة عنوانه « أدب القوة وأدب الضعف » سميت فيه الأدب الذى يضعف النفس ويمرض العاطفة أدبا ضعيفا مائعا

لك الله يا آنسة ! أفتدرين أن أشنع سُبة يسب بها إنسان : أنه لاقلب له ؟ وهل المرء ألا قلبه ؟

ليس الانسان جسما بعضه القلب لكنه ، قلب غلافه الجسم

لقد قالوا : « إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه » ولكنهم - بقولهم - قد رفعوا من شأن اللسان حتى قرنوه بالقلب ، ووضعوا من قيمة القلب اذ قرنوه باللسان ، وهل اللسان إلا حَاكٍ بكىٌ لأحط حركات القلب وانفعالاته ؟ وكيف يعبر المحدث عن القديم ؟ أم كيف يحيط المحدود باللامحدود ؟ وأين يقع معجم اللغة من معجم العالم ؟

إن القلب يقرأ ما رسمه الله على السماء والأرض من أشعار ، ولا يسمح منها للسان الا بالقليل التافه ، وما الشعر الملفوظ بجانب الشعر المحسوس ؟

القلب لايكذب أبدا واللسان لا يصدقُ الا قليلا ،

لعلك يا آنسة إن فتشت عن أعجب ماخلق الله فى السماء وفى الأرض لم تجدى أعجب ولا أروع ولا أدق ولا أجمل من قلب الانسان — تصلح أوتاره فيفيض رحمة وشفقة وحبا وحنانا ، ومعانى لطافاً وشعورا رقيقا ، حتى يتجاوز فى سموه الملائكة المقربين ، وتفسد أوتاره فينضح قسوة وسوءا حتى يهوى الى أسفل سافلين

حوى على دقته كنه العالم! فما أدقه واجله وما أصغره وأعظمه!

يكبر — ولا نرى كبره — فيتضاءل أمامه كل كبير ، ويصغر — ولا نرى صغره — فيتعاظم عليه كل صغير

اتحد شكل القلب واختلفت معانيه ، فقلب كالجوهر الكريم صفا لونه ، وراق ماؤه ، يتلقى الأشعاع ويعكسه وهو على أشد ما يكون ضوءاً ولمعانا ، وقلب كالصخر قوى متين ، ينفع ولا يلمع ، وقلب هواء ، خف وزنه ، وحال لونه — وقلب . . . وقلب . . . مما لايحصيها الا خالقها — إن اتحدت عيون الناس وآذانهم ووجوههم ورءوسهم نوعا من الاتحاد فان لكل انسان قلبا وحده ، ينبض بنوع من حب وكره ، وقسوة وحنان ، وإعظام واحتقار ، ورفعة وانحطاط ، لا يشركه فيه قلب آخر — وبهذا ، وبهذا وحده . اختلفت قيم الناس وتعددت مراتبهم

يموت القلب ثم يحيا ، ويحيا ثم يموت ، ويرتفع الى الأوج ، ويهبط الى الحضيض ، وبينا هو يسامى النجوم رفعة ، اذا به قد لامس القاع ضعة ، وهكذا يتذبذب فى لحظة بين السماء والأرض ، والطول والعرض ، وخير الناس من احتفظ برفعة قلبه ، وسمو نفسه

هو ان شئت فردوس ، وإن شئت جحيم ، هو ان شئت مَلَك ، وان شئت شيطان ، هو ان شئت نار تتقد بالحب

هل الوجد الا ان قلبى لودنا من الجمر قيد الرمح لاحتقر الجمر
هل الحب الا زفرة بعد زفرة وحر على الأحشاء ليس له بَرْد
وفيض دموع العين يامى كلما بداعَلَم من أرضكم لم يكن يبدو
وان شئت سلا فكان بَرْدا وسلاما

وقلت لقلبى حين لج به الهوى وكلفنى مالا أطيق من الحب
الا أيها القلب الذى قاده الهوى أفق لا أقر الله عينك من قلب

القلب مركز العاطفة ، والرأس مركز العقل ، وما العقل لولا العاطفة ؟ إن العقل أكثر ما ينفع للهدم ، والقلب أكثر ما ينفع للبناء ، إن القلب يؤمن ، والعقل يلحد ، والقلب يحب والعقل يحذر

نصحتك علما بالهوى والذى أرى مخالفتى فاختر لنفسك مايحلو

القلب يؤسس العالم ، والعقل يسكنه ، والقلب يخلق الشىء والعقل يغصبه ، سلى التاريخ أليس أعظم بناة العالم قد امتازوا بكبر القلب ، وصدق الشعور ، وقوة الارادة ، أكثر مما امتازوا بسعة العقل وقوة الأدراك ؟

القلب بنى البناء والعقل نقده ، والقلب أحيا الشعور والعقل حدّه ،

هل تعلمين - يا آنسة - أن من وجد كل شىء وفقد قلبه لم يجد شيئاً — وان من جرد من قلبه لا يعرف صداقة ولا يدين بوطنية ولا يشعر بحنان ، ولا ينطوى على ايمان ؟

أو تعلمين أن من سُلب القلب فقد سُلب الفن والأدب ، لأن الفن مناطه القلب ، والعلم مناطه العقل ؟ وقد سئل مصور ماهر كيف تمزج ألوانك ؟ فقال : أمزجها بدم قلبى . وكذلك الأدب الحق ، هو ما كان ذوب القلب

يا آنسة لقد رميت فأصميت ، ولشد ما خفق قلبى لسُبتك ، كانه يريد أن يثبت وجوده !